تفعيل استخدام الحواس في التعلم

إن الواقع التربوي كان واقعا صعبا في كثير من البلدان، فيما يتعلق بعناصر العملية التعليمية التعلمية، حيث أن النظريات التربوية التقليدية ساهمت في تكريس قيم سلبية، كالتسلط والتحديد من حرية الآخرين في التعبير عن أنفسهم. إضافة إلى عدم مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة، والتقليل من التفاعل الصفي وعدم مراعاة إنسانية الطالب، وإهمال استخدام حواسه في عمليتي التعليم والتعلم.

وقد تمثل تفعيل الحواس في التعلم منذ القدم، ومثال على ذلك قصة الراهب «كونتليان»: حين كان الأطفال يذهبون إلى مدارس الأحد الدينية، في أيام الأحد، ليتعلموا القراءة والكتابة... كان الأطفال يتعلمون ذلك عن طريق اللعب. وقد كان الراهب «كونتليان» يعلم في هذه المدارس. حيث قام بنحت العظام لتشكيل حروف وكلمات، ومن ثم أعطاها للأطفال لكي يتعلموا من خلالها القراءة والكتابة... وهناك الكثير من العلماء المسلمين الذي نادوا بتفعيل الحواس في التعلم ومنهم «الادريسي» الذي نقش أول كرة أرضية من الفضة. وفي عام 1600م نادى «كومينوس» بتعليم الطلاب من خلال استخدام الحواس، أما «جون بستالوزي» كان من بين أهم المدافعين عن التعليم عن طريق الحواس.

وبعد إجراء البحوث الميدانية وظهور النظريات التربوية الحديثة في الواقع التربوي الذي تعيشه مدارسنا في الوطن العربي، تبينت الكثير من القضايا والإشكاليات التعليمية والتربوية التي خلفتها النظريات التربوية التقليدية. حيث أكدت هذه البحوث والنظريات التربوية الحديثة على أهمية تفعيل دور الحواس لدى الطالب، وذلك لمدى مساهمتها في بقاء المعلومات في ذاكرة الطالب لفترات أطول.

ومن هنا، لا بد من القول بأن المعلومات والمفاهيم والمبادئ والخبرات التي يكتسبها المتعلم من خلال استخدام أكبر عدد من الحواس، هي الطريقة الأنجع والأكثر فعالية. وهذا ما أشار إليه «ادجار ديل» في مخروط الخبرات والذي قسمه إلى ثلاثة مستويات: العمل المحسوس، الملاحظة المحسوسة، والبصيرة المجردة. والشكل الآتي يوضح ذلك:

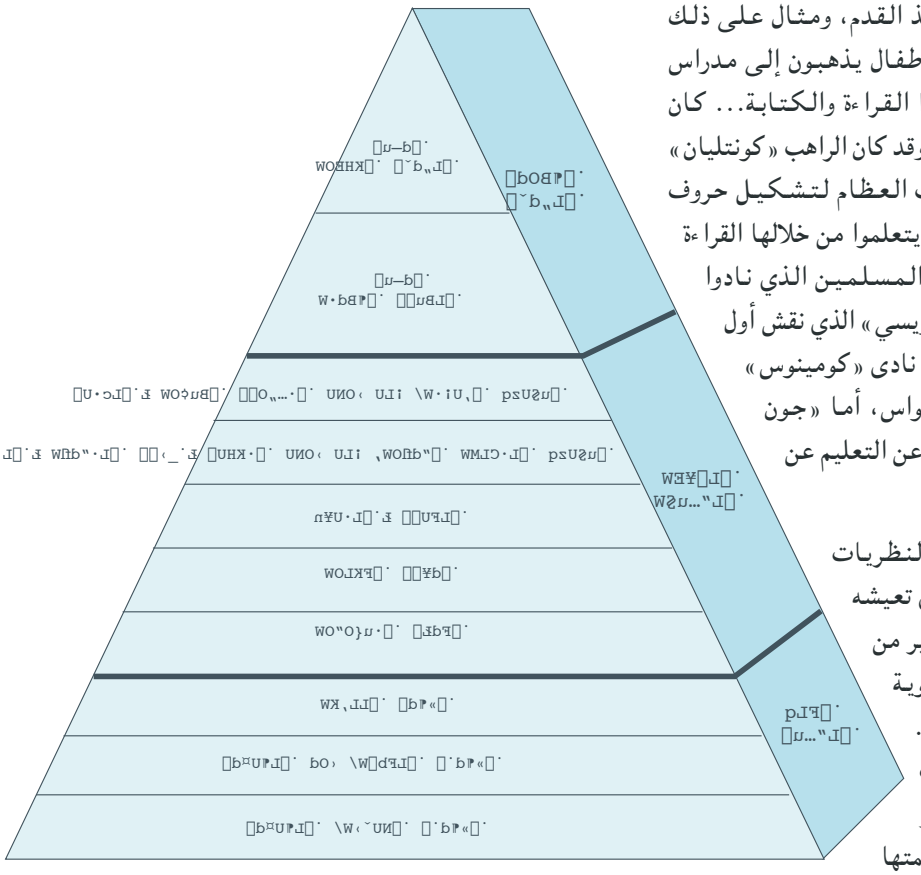

مخروط الخبرات لـ «ادجار ديل»

حيث يشكل العمل المحسوس في قاعدة مخروط الخبرات لـ «ادجار ديل» الأكثر حسية وواقعية، والأكثر نجاحا في بقاء المعلومات والخبرات التي يكتسبها الطالب لفترة طويلة، أما البصيرة المجردة والتي تشكل رأس المخروط، فهي الأقل حسية والأكثر تجريدا وتحتفظ بالخبرات التي يكتسبها الطالب في ذهنه لفترة قصيرة.

ويعود ذلك إلى كثرة عدد الحواس المستخدمة في التعلم والتي تشكل قاعدة المخروط، والمثال الآتي يبين ذلك:

الموضوع: زراعة الفول.

الخطوات:

- يقوم المعلم بتقديم معلومات حول أهمية وفائدة نبات الفول، وكيفية زراعته بالطريقة الصحيحة.
- يحضر المعلم حوض وكيس رمل وماء وبذور الفول.
- يبدأ المعلم بعملية زراعة الفول أمام طلبة الصف. بحيث يكون في موقع يشاهده جميع الطلبة.
- بعد ذلك يطلب من الطلبة تقديم استفساراتهم وأسئلتهم حول عملية زراعة الفول، من اجل الإجابة عليها.
- يترك المعلم الفرصة للطلبة للقيام بأنفسهم بزراعة الفول، مع إشراف وتوجيه منه.
- تلخيص المعلم لأهم نقاط الدرس على السبورة، ومن ثم يقوم الطلبة بكتابتها.
- تقييم النشاط من خلال حديث كل طالب عما حدث معه.

عند قيام الطالب نفسه بعملية زراعة الفول يكون قد استعمل اكثر من حاسة في عملية التعلم، وبهذا تكون المعلومات قد ترسخت في الذاكرة طويلة المدى، وعندها يستطيع إجراء عملية استرجاعها بكل سهولة ومن الصعب نسيانها.

ان تفعيل اكثر عدد من حواس الطالب في عمليتي التعليم والتعلم يجعل المعلم اكثر قدرة من غيره على تغطية المنهاج المدرسي المقرر بالوقت المحدد

وهناك بعض المعلمين يشددون في قولهم «أن استخدام التطبيقات العملية تأخذ وقتا طويلا، ويكون ذلك على حساب المنهاج المدرسي المقرر». مما يدفعهم إلى التدريس باعتمادهم على السرد والتلقين. ولكن الأمر يختلف عن ذلك. فباستطاعة المعلم تنظيم أفكاره والتخطيط الجيد للدرس، وخاصة بعد تدعيمه وتوظيفه في الخطة السنوية للمنهاج.

ان تفعيل اكثر عدد من حواس الطالب في عمليتي التعليم والتعلم يجعل المعلم اكثر قدرة من غيره على تغطية المنهاج المدرسي المقرر بالوقت المحدد. وهذا يؤدي إلى تنمية المهارات العقلية لدى الطالب، وزيادة دافعيته للتعلم، والتكيف وتقبل المدرسة، وتفاعله النشط مع المحتوى والمعلم والطلبة وأولياء الأمور، وتنمية قدراته ومهاراته على حل مشاكله المدرسية والحياتية.

ولا شك بأن من مبادئ وأساسيات التعلم النشط الاعتماد على مشاركة الطالب في التعلم، بحيث يعني تفعيل دور الحواس في التعلم إشراك/مشاركة الطالب في العملية التعليمية. كما يستطيع المعلم توظيف مصادر البيئة المحيطة بالطالب في عملية التعلم، وتفاعله مع الأشياء التي يحصل عليها من البيئة المحيطة به، عندها يكون قد استخدم عددا أكبر من الحواس. كأن يأتي بزهرة ويبدأ الطالب بالتفاعل معها أثناء ذكره لأجزاء الزهرة، وكيفية زراعتها، وأهميتها، وكيفية الاعتناء بها..الخ.

لذا، لا بد لنا كمعلمين وتربويين من ممارسة دورنا الريادي والفاعل تجاه تفعيل الحواس في التعلم، لما في هذا الأمر من أهمية للطالب أولا، باعتباره محور العملية التعليمية التعلمية، وللواقع التربوي والتعليمي ثانيا.

مجدي علي زامل

منسق وباحث تربوي

مركز الإعلام والتنسيق التربوي